

نافذة

عن الجوع وسرّ الجوع

عن أي جوع يتحدث المرء؟ عن الجوع الحقيقي الذي يسببه الفقر، الذي قال فيه الإمام علي كرم الله وجهه: لو كان الفقر رجلاً لقتلته؟! أم عن الذي قال ابن النديم مخاطباً من يقع تحت ظلمه: عجبت لمن لا يشق صدور ظالميه؟ عن هذا أم ذاك؟ الفقر أمر يمكن أن يتم تجاوزه بالعمل والجدد، ويمكن للفقير أن يكتفي ويتعفف، ولا يصبح غنياً، ويصل إلى ذلك بالعمل والجدد... لماذا تصرّ الأيديولوجيات كلها على خلق نوع من النزاع بين الفقير والغني؟ وعندما يحصل النزاع لابد أن الغني من سينتصر، وسيذهب الفقير ضحية لفقره وسوء تقدير الأيديولوجيا التي دفعتة إلى المواجهة، وهو لا يدري أن زمعاء أيديولوجيته يستفيدون من صراعه مع الغني، وربما انضموا على حسابه إلى نادي الأغنياء..!

لماذا أصرت الأيديولوجيات على زرع فكرة النعمة في نفوس الفقراء، وهي تعلم أنهم سيبقون الضحايا؟ وربما هذا أعمق أثراً وتأثيراً قد يتحول هذا الناعم، ولا أقول الفقير إلى متحكم وسلطة، عندها لن يتذكر إلا جوعه وفقره، ولن يتخلى عن إقرار الكون كله، ولا يدري أن والده ووالدته كانا في منتهى السعادة، ويتذكر أنه يريد الانتقام لهما!! فلا هو ينتمي إليهما، ولا هو ينتمي إلى الإنسان مطلقاً، لأنه معيماً بالنظريات الأيديولوجية التي تجعله ضد الكون!

في رحلتي التي جاوزت أربعة عقود مع الناس وبينهم رأيت العجب، فأغلبية هؤلاء الذين رأيتهم وقد غيروا جلودهم هم الأكثر عهراً، وهم الأكثر اعتداء على المرأة، وهم الذين لا ينتقون إلا الحرائر لإثبات تفوقهم؛ وهم الذين ينظرون إلى أصدقيتهم ولعناهن! أقسم إنني منذ أقل من شهرين التقيت أحدهم وهو قادم من السفر، فقال للجالسين: انظروا اشتريت هذا الحذاء بكذا.. وذكر مبلغاً يكفي لإعالة أسرة لشهرين!

وهذا الذي يتحدث شخصية اعتبارية فتحت لها الأبواب، ويتحدث من رأس أشفه، ويبيع جالسبه القيم والمثل، ويطلب منهم أن يكونوا أصحاب مبادئ! أظن أن هذا وأمثاله أمضى سحابة عمره الأول حافياً، ولكنه بدل أن يلبس ويبحث عن الحفاة ليلبسهم، جلس بيابه الأغنياء بأن حذاءه أغلى من أحنيتهم.. هذا الذي قضى عمره ليلبس البالة والرخص صار اليوم منافساً للأغنياء على أهم المراكات، وكل ذلك بتأثير من المبادئ والأيديولوجيات التي بقيت في ذهنه ليعظنا بها، وغارت حياته ليكون أقصى همه أن يلبس حذاءً لامعاً من المراكات العالمية!

إنه الجوع أيها السادة لا الفقراء... الفقير لا يجبر لذلك أراد الإمام علي أن يقتل الفقر، لأنه يقهر صاحب كرامة، يقهر إنساناً يشعر بالأخر، أما الجوع فشيء آخر، الجوع من عناده ابن النديم بالنظم، فالجائع ليس فقيراً، وإنما الجائع الذي لا يشبع ولا يشبعه شيء!

أما التقينا بجائع في موقع المسؤولية وينظر إلى ليرات؟ أما التقينا بجائع ساوم كل امرأة على شرفها، وكأنه بذلك يصبح عزيزاً؟

الجوع شيء آخر، قد يكون في الأغنياء، لكنه أبداً لا يكون في الفقراء، فالفقر كخاف، والغنى جوع للمزيد، فمن جرب الاكتناز يصبح جاعاً للمزيد، ومن يباه بحذاء أو بطقم أو بسيجار أو مشروب فلن يشبع ما دامت الحياة..!

والشكلة الحقيقية أن الأيديولوجيات لم تفرز فقراء لينصفوا بالشواهد الشعرية وغيرها، وهو كتاب برنامج المتعة والمعرفة، ويستحق الاهتمام، لما بذل فيه مؤلفه من جدية في البحث والتابعة والإحاطة بجوانب موضوعه كلها، ولما أعطاه من العناية في التنسيق والإختيار.

قسم المؤلف إياد مرشد كتابه إلى بابين، الأول جاء بعنوان: «المفاهيم الأساسية وتطور العلاقة ما بين الشاعر وقضايا عصره»، وهو مقسم إلى ستة فصول، حدد خلالها مفهوم الشعر السياسي، متابعاً في الفصل الثاني تأثير القضايا السياسية في تطور شخصية الشاعر، على حين بين المؤلف في الفصل الثالث ماهية شعره السياسي، شارحاً في الفصل الرابع الدوافع والأسباب وراء اهتمام الشاعر بالقضايا السياسية، مورااً القضايا السياسية في شعره قبل نكسة حزيران وبعدها. على حين تضمنت فصول الباب الثاني «القضايا السياسية في شعره» مقسماً المؤلف إياداً إلى أربعة فصول تتحدث عن: القضية الفلسطينية وقضية الحرية وقضية المرأة، والفصل الرابع يتحدث عن قضايا عربية متنوعة. كما ضم الكتاب في محتوياته الخاتمة ومصادر البحث ومراجعته.

وحده ابن العائلة وحده الفقير العفيف وهدهما يرفعان رجحان كفة الوطن، وما عدا ذلك جوع لا ينتهي.. سمعت أحدهم يقول: كلها مدة وأغفى، علي تأمين نفسي! فهو شخص عاطل تافه لم يؤمن نفسه على الأقل بسلاح العلم والكفاءة، ولا يملك قدرة على البقاء لذلك يريد إشباع جوعه! لو لم يكن في هذه المكانة فهل بإمكانه أن يحصل على ما حصل عليه؟! كتبت في مرات عديدة أن أهم سبب من أسباب حماية سورية أن المواطن العادي، الغني ابن العائلة، والفقير العفيف، كلاهما اكتشف خيوط اللعبة، فأغلب الذين يدافعون عن السوري من منظارهم هم الجزء الأسود في حياتنا السابقة عندما كانوا جزءاً من النظام..! فهذا الذي جاء ليسكن في غرفة جماعية في الشعلان أو المهاجرين ملك القصور والأموال والشهادات المشترقة قبل أن يبكي على الشعب السوري.. هل تريدون أسماء؟! لا داعي فالجميع يعرفون هذه الشخصيات، ويعرفون آليات صناعتها، لذلك بقيت سورية، ولذلك تمسكت بأمل ريشيها وجيشها للوصول إلى شاطئ الأمان، متجاوزين أولئك، ومتجاوزين الذين يتاجرون بالأمم في الداخل، سواء كانوا في مواقع تنفيذية، أم كانوا من تجار الأزمة، ويرفعون شعارات مزيفة!

هل سمعت بمن وصل إلى موقع وهو جائع واكتفى ببيت ووسيلة نقل؟ إنه الجوع والجائع فطرة، فمه لا يشبع، شهوته لا تشبع، عينه لا تشبع..!

تشخيل معي أن هذا القدر من الجاعين رحل كيف ستكون سورية؟ لا أريد أن أتخيل العكس، فالأمل معقود بعزيمة السوري وفي كل حال علينا أن ندرك خطورة الجوع.. الجوع يجعل حامله يقدم كأس الشراب لسيدته، ولكنه يتقضى عليه عندما تطول مخالفته.. وما أقسى صورة الجائع وهو يصل إلى الساحة محاولاً اقتراس ما يلقته. إنه الجوع.. ويكفي أن نعرف من سره أنه جوع واقتراس.

إسماعيل مروة

سوسن صيداوي

مرآة واقع، صدى شارع، نبض قلب، فارس المرأة.. ليست القبايا، بل مفردات يمكن بها أن نعرف عن رجل وشاعر وسياسي وتأثر وعاشق وأيضاً وطني. يمقت القيود، منطلق للحضارة، متمسك بأهمية الحب في الحياة، وبضرورة التشبث بالحق الشخصي ثم الوطني وبعدها القومي. إنه الشاعر نزار قباني ذو الأصل الدمشقي، من مواليد ١٩٢٢، درس الحقوق في جامعة دمشق، تخرج سنة ١٩٤٥، بعد ذلك انخرط في السلك الدبلوماسي، أصدر أول ديوان له في عام ١٩٤٤ بعنوان: «قالت لي السمراء»، كما أصدر ٣٥ ديواناً، من أهمها «طفولة نهد»، و«الرمس بالكلمات». أسس دار نشر خاصة به في العاصمة بيروت. عرف نزار قباني بمأساه الكثرية، وكانت أول فاجعة تلحقها وفاة شقيقته الكبرى وصال، وهي أخته من أمه حيث انتحرت لأنها لم تستطع أن تتزوج ممن تحب، حينها كان شاعراً يعمر الخامسة عشرة، ثم وفاة والده بعدها وفاة والدته، وفي عام ١٩٧٢ عاش الشاعر مأساة وفاة ابنه توفيق، ثم جاءت وفاة زوجته بلفيس عام ١٩٨١. عاش نزار قباني سنوات حياته الأخيرة في لندن، وطوال تلك الفترة مال للشعر السياسي، ومن أشهر قصائده الأخيرة «متى يعلنون وفاة العرب»، وفي عام ١٩٩٨ توفي ودفن في دمشق مسقط رأسه بحسب وصيته.

اليوم وتكريماً لهذه القامة، قامت وزارة الثقافة بالتعاون مع الهيئة العامة السورية للكتاب بإصدار كتابين خاصين، الأول هو (تحليلات سياسية في شعر نزار قباني)، بواقع ٤٦٤ صفحة من القطع الكبير، تأليف: إياد مرشد، دراسة تجريبية للشاعر الكبير نزار قباني، كونه اقتصر على الجانب السياسي في شعره وحياته. وقد بسط المؤلف آراءه مدعماً بالشواهد الشعرية وغيرها. أما الكتاب الثاني فجاء بعنوان: «نزار قباني قافية شموخ قاسيون» بواقع مئتين وخمسين صفحة من إعداد د. إسماعيل مروة. أ. نزيه الخوري، متتولاً الكتاب الحديث عن حياة الشاعر الشخصية والسياسية وفي جانب كبير عن قصائده الشعرية.

في الكتاب الأول

جاء في صفحة الغلاف الأخيرة لكتاب «تحليلات السياسة في شعر نزار قباني»: «لهذا الكتاب تكهة خاصة بين الكتب التي درست تجربة الشاعر الكبير نزار قباني، كونه اقتصر على الجانب السياسي في شعره وحياته، وقد بسط المؤلف آراءه مدعماً بالشواهد الشعرية وغيرها، وهو كتاب برنامج المتعة والمعرفة، ويستحق الاهتمام، لما بذل فيه مؤلفه من جدية في البحث والتابعة والإحاطة بجوانب موضوعه كلها، ولما أعطاه من العناية في التنسيق والإختيار.

قسم المؤلف إياد مرشد كتابه إلى بابين، الأول جاء بعنوان: «المفاهيم الأساسية وتطور العلاقة ما بين الشاعر وقضايا عصره»، وهو مقسم إلى ستة فصول، حدد خلالها مفهوم الشعر السياسي، متابعاً في الفصل الثاني تأثير القضايا السياسية في تطور شخصية الشاعر، على حين بين المؤلف في الفصل الثالث ماهية شعره السياسي، شارحاً في الفصل الرابع الدوافع والأسباب وراء اهتمام الشاعر بالقضايا السياسية، مورااً القضايا السياسية في شعره قبل نكسة حزيران وبعدها. على حين تضمنت فصول الباب الثاني «القضايا السياسية في شعره» مقسماً المؤلف إياداً إلى أربعة فصول تتحدث عن: القضية الفلسطينية وقضية الحرية وقضية المرأة، والفصل الرابع يتحدث عن قضايا عربية متنوعة. كما ضم الكتاب في محتوياته الخاتمة ومصادر البحث ومراجعته.

في خاتمة الكتاب كلمة مؤلف

لقد توخى المؤلف إياد مرشد في بحثه الإحاطة التفصيلية بتجربة نزار قباني الشعرية، وذلك من خلال دراسة موضوعات شعره السياسي، الذي يشمل كلاً من شعره في المرأة وشعره في الوطن، وعن هذا ذكر في خاتمة بحثه «في كليهما كان نزار متألقاً مبدعاً، فمما أجاد وأبدع في شعره الغزلي، كذلك أجاد في شعره السياسي، رغم ما نابته في كليهما من اتهامات



وانتقادات. لقد عاش شاعراً واقع أمته الاجتماعي والسياسي والثقافي، إلا أنه لم يكن يوماً لسان حال حزب بعينه أو نظام سياسي، بل سعى لأن يكون صدى لصوت الشارع، بل أحياناً محركاً له وقائداً لفاعلاته، وردت فعله تجاه مجمل الأمسي والتكبات التي لاحقت الأمة العربية في القرن الماضي، ورأى وكذلك فعل عند تناوله قضايا المرأة، فلم يكن ذلك الشاعر الرومانسي الممجوع بالحب شامراً شكواه ونحيبه لعجز أو صد، بل سعى إلى الاحتفاء بالمرأة، وبفصاحتها وملايسها وزينتها... الخ، ولاحقاً عاش قضاياها وأعلن انتصاره لها..

رداً على لسان البعض بأن شاعراً أغفل بعض القضايا في أزمنة مختلفة من عمره، يقول المؤلف: «هذا لا يمثل شيئاً مهماً أمام ما جاء على ذكره في قصائده. لأنه ليس مطلوباً من الشاعر أن يكون معلقاً سياسياً أو صدى لكل واقعة سياسية. ورغم اختلاف تقييم القارئ لتجربته في معالجة قضايا الوطن والمرأة، إلا أنه لا يمكن لأحد أن ينكر أنه مثّل في هذا كل ما تناوله من قضايا في شعره صوتاً متفرداً، وأسلوباً جديداً في التعاطي مع الشأن العام، صوتاً خارجاً عن الطاعة لذوي الأمر والنهي، وناقداً حاداً لظاهر التخلف والضعف، وتصوير حالات الصور والوهن. وسامحت الأقدار على الصعيد الشخصي للشاعر وفي مراحل مختلفة من حياته في تأجيج مشاعره وزيادة التحامه مع القضايا التي كان يطرحها، فجاء انتحار أخته، ومقتل زوجته في حادث مأساوي في بيروت، ثم اضطرابه لمخادرة بيروت بعد اشتعال أتون الحرب الأهلية فيها، ونهايه إلى المنفى الإختياري ليعمق من تجربته، وليزيد من جرعة التحدي والرفض للواقع الاجتماعي السياسي.

إذا عانق نزار هموم وطنه رغم أنه لم يعيش لهم وضنك الحياة، مجد المقاومة وشعرها، رغم أنه لم يكن مقاوماً في حياته الشخصية، فلم يحمل سلاحاً، ولم ينظر سياسياً لهذا الخط الكفاحي، لكنه اتخذ من الرفض منطلقاً واتخذ من كسر التابوهات مبدأ... مما جعله شاعراً متفرداً في العشق والسياسة، طرح في موضوعاته إشكاليات كبرى، وعانق هموم المرأة وواقعا مرات ومرات وعالجها بسطحية في مطاحر كثيرة. كما عاش قضايا وطنه بخجل في بداياته، وبعد حزيران ١٩٦٧ انغمس فيها حتى صارت دينه. هو شاعر تتبع اهتماماته أولاً وأخيراً من وقائع يعيشها وطنه سواء على الصعيد الاجتماعي المرأة

نزار قباني مكرماً بكتابين من وزارة الثقافة

التجليات السياسية وشعر بشموخ قاسيون

في الكتاب الثاني

صدر كتاب «نزار قباني قافية شموخ قاسيون» بمساع من وزارة الثقافة احتفاءً بالشاعر نزار قباني ضمن الشخصيات السورية التنويرية، وذلك بشكل لائق في الأربعماء الثقافي، في الندوة الثقافية التي تمت في مكتبة الأسد في دمشق، وجاء هذا الإصدار من الهيئة السورية للكتاب، يبحث في شعر نزار للدكتور وائل بركات، وبحث للمؤرخ شمس الدين العجلاني عن الأوراق المنسية في حياة نزار، وبحث للدكتور إسماعيل مروة عن نزار وشعره القضايا، وكما ذكر أملاه شارك بإعداد الكتاب الأستاذ نزيه خوري. البحث الأول جاء تحت عنوان: «من المرأة الأم إلى الأنتى الحرة»، تبعه البحث الثاني المعنون بدالمنسي في سيرة نزار قباني»، ثم البحث الثالث «نزار قباني حلم الفوقعة وكان مارداً لمجتمعه وأمه»، وسنورد منها بعضاً من النقاط.

رأي نزار في القصيدة

قيل في القصائد التي ألفها شاعراً نزار كبير، وقيل في صاحبها ما هو أكثر، ولم يسلم من وابل الاتهامات ورجح الكلام المسيء والنقد اللاذع حول قصائده مع الحوادث المهمة المرافقة لظهورها، وعن هذا يقول نزار: «بين رضى الراضين وسخط الساطخين فتحت القصيدة دربها في الدنيا العربية الكبيرة، تكسر صقعة التابوت الذي حبسنا فيه حياتنا، وتحطم العنق المقسور الذي فسد هواؤه منذ ألف ألف قرن.. وتمزق نسج الخيمة الكبرى التي نسجتها لنا أصابع الوباء والاتكال فحعلنا لا ندري أن وراء جدران الخيمة زرقعة تولد من زرقعة»، ويتابع في مكان آخر: «وإذا كنت قد لقيت في سبيل هذه القصيدة الكثير من الترحيح، فانا كبير بهذه النهاية التي انتهت بها قصيدتي... وهذا دليل على أن القصيدة استطاعت أن تتقطع الأسطورة من جذورها وتأتي إلى أبي زيد الهلالي على إيوانه.. فتخفقه..».

النشاط في رؤية نزار

تحدث الكتاب وتحت العنوان المذكور أعلاه كيف كان موقف شاعراً ممن يستغلون النفط العربي حسب أهوائهم المختلفة المتحجرة، ويرأيه أن النفط كان نقمة على العرب بدل أن يكون نعمة لهم، مستمعداً أن يكون النفط في أيدي هؤلاء للحضارة، بل فخ وقهوا فيه وأفسدوا في الأرض، فالنظف بالنسبة لهم للمذات، ويقول الشاعر:

(ترجم..) يا أمير النفط فوق وحول لذاتك كمشحمة.. ترعج في ضلالاتك على قدمي خيلاتك كهوف الليل في باريس.. قد قتلت مروءاتك على أقدام موسسة منك دفنت ناراك..

فبعت القدس.. بعت الله.. بعت رماد أمواتك كأن حرب إسرائيل لم تهض شقيقاتك ولم تهدم منازلنا..

نزار قباني في حرب تشرين

كان لشاعراً قصب السبق في الحديث عن بطولة الجندي السوري في حرب تشرين، وفي خضم الصراع مع العدو الصهيوني يبرك نزار قباني أن دمشق هي خط الدفاع العربي الأول وأنها القادرة على رد الحقوق العربية قاتلاً: «منذ موقعة بدر.. حتى موقعة جبل الشيخ.. والشام مواظبة على تكلم اللغة العربية وعلى تعليمها.. أن صناعة دمشق الأساسية هي العربية.. وهذه الصناعة الدمشقية قديمة جداً.. ومشهورة جداً.. وجميع القوميين العرب خرجوا من رحمها وتعلموا عليها». ويزواج الشاعر بين الحبيبة والوطن وحرب تشرين فيقول: «هل حدث لكم أن أحببت امرأة في زمن الحرب؟ هل حدث لكم أن واعدتم امرأة تحت جناح طائرة فتأتمم محترقة في أحد شوارع دمشق؟ هل حدث لكم أن رأيتم عيني حبيبكم على ضوء الشظايا؟ وسمعت صوتها يخرج كالوردة، من تحت أكياس الرمل وإيقاع صفارات الإنذار؟ هل عرفتم كيف يصير وجه الحبيبة وخريطة الوطن شيئاً واحداً..»

دمشق أصل الأشياء

كان شاعراً يؤمن بعظمة الإنسان العربي السوري، وأن دمشق هي الأصل في الزمان والمكان، حيث يقول: «لا أحد يتكلم العربية مثل دمشق، ولا أحد ينطق بالحرف العربية على طريقة الغساسنة والمناذرة، و«نهج البلاغة» و«العقد الفريد» و«لسان العرب» إلا دمشق، ولا أحد يحمل سلم العروبة بالعرض إلا دمشق، ولا أحد يجيد صناعة السيوف المطعمة بالذهب والفضة إلا الدمشقيون، والذين يصنعون السيوف يروون أخلاقها..»

قرأ المجتمع العربي بعين الناقد

فرأى معاناة المرأة... فتمرد على المجتمع

بعاداته وتقاليدته الذي جعله التخلف

يأسر الأنتى فيه

الفن أو الأدب، ويخلق حوله محاورون آخرون كقروان، وفؤاد شرجي..

وكان ثمة فنانون يصعدون إلى مائدة الحوار كغسان جبيري وعلاء كوكش ومنى واصف وباسل الخطيب. ويضيف عبد الرحمن الحلبي من ذاكرته إلى هؤلاء كل من: عبد الكريم اليافي، زكي المحاسني، وداد سكاكيني، الدكتور إحسان النص، عمر النص، الدكتور حنا كوري، الدكتور بدیع حفي.. ويقول: إن العناوين التي جمعت هذه القامات مع كاتب وموقف كانت بحق القضايا الكبيرة التي يحملونها على الصدق كقافة.

ليس هذا فحسب، بل إن قامات ثقافية عربية جلست على طاولة حوار كاتب وموقف، لتناقش وتحاور وتدافع عن مواقفها الثقافية، وتذكر منها أحمد عبد المعطي حجازي والشاعرة ملك عبد العزيز زوج الناقد العربي المعروف محمد مندور، أي باختصاص ظهرت في برنامج كاتب وموقف صورة المثقف والكاتب والفنان وعالم الفكر والثقافة والنقد والفن والقصة والرواية والمسرح. وكل ذلك جرى تشريحه من خلال وجهات نظر القامات الكبيرة التي كانت تشعل الحوار الثقافي السوري بكل أطيافه والوانه وكانت تشعروا بنجاح دور الإعلام الكبير في تفعيل الحوار الثقافي وإطلاقه نحو المستقبل.

وفي آلية الحوار، كانت تقوم فكرته على أساس إقامة مقارنات وجهات نظر نقدية لموضوعات تشكل محور الندوة، ويكون صاحبها علماً في الثقافة أو الفكر أو



عبد الرحمن الحلبي